

## لماذا اقرأ كتب كمال جنبلاط ؟

لما كان الانسان بفطرته يتوخى المعرفة بماهيتها الجوهرية الثبوتية الخالده وراء لعبة التمظهر المستمرة عبر الزمان والمكان .....

لما كان الانسان بحساس غريزة عقله يدرك ان السعادة هي تجسيدا للمعرفة النظرية عملا تطبيقيا على ارض المجتمع وان لا سعادة حيث لا نظرية للمعرفة متكاملة ، سعى عند ذلك للمعرفة لانها الصراط المستقيم الذي يوصله الى السعادة الغاية ... وبسعيه الى المعرفة ادرك ان لهذه المحجة طريقين : طريق الحواس الذي يصلنا بعالم المحسوسات ودليله المنطق الاستدلالي استقراءً وقياساً والالهام الصوفي الذي يصلنا بعالم المثل (اللوح المحفوظ ) ويجعل الحقائق الكلية تأتي حدسا واشراقا وشطحات وحلولا .

هنا يمكن الجواب الاول لسؤالي : لماذا اقرأ كتب كمال جنبلاط ؟

لانني بكل بساطة احب قراءة الكتب بشكل عام لانها طريقي للوصول الى المعرفة . ولما كنت محدود القدرة في حقل القراءة ومحدود الاجل في حقل العمر فليس لي متسع من الوقت لقراءة كل شيء ولذلك اقبل على قراءة الآثار المهمة التي تكون دليلا أميناً يأخذ بيدي في طريق معراجي الفكري من مرتبة الحيولن الاعجم الذي هو كتلة من اللحم تأكل وتشرب وتنام لأتسامى الى مرتبة الانسان المستنير الذي يحل الله في قلبه ويحل في قلب الله . ولما كانت كتب كمال جنبلاط خير دليل في هذه الرحلة الفكرية الوجدانية المعراجية حيث يتعانق المحدود المادي باللامحدود الروحاني وتتجسد شطحات الصوفي في برغماتية السياسي ثم ترتقي البرغماتية التجريبية لتعود من جديد كلية روحانية .... ولما كانت نزعة أدب الحياة التجريبية تلتقي مع الاشتراكية الاكثر إنسانية التي تتعدى الحرف ، اخترت كمال جنبلاط من أوائل المفكرين الذين اقرأ لهم .

أما الجواب الثاني على السؤال أياه .... لماذا اقرأ كتب كمال جنبلاط !؟

لأنها التدوين والامين لسيرته الذاتية ... للمثل المادية والروحانية التي تمحور حولها وجوده ... فلقد كان الانسان رجل الثورتين القومية العربية بمفهومها الايجلبي المناهض للعنصرية وللحساسيس الفوقية او الدونية ... القومية التي تأخذ بقانون التطور والارتقاء لتخرج المواطن العربي من صدمة سقوط بغداد في قبضة هولاءكو ودمشق في قبضة تيمورلنك والقدس في قبضة الصليبيين القدامى والجدد ، الى روحية الثورة الفرنسية ( حية ، اخاء ، مساة ) ولاحقا الى روحية المجتمع الانساني الموحد تحت راية الاشتراكية الدولية . وديمقراطية لبنانية كان لها وجهة نظرها في التعليم في لبنان والانصهار المتبادل بين التعليم والعمل ورأيها في الانتاج وتحول لبنان من مجتمع خدمات استهلاكي الى مجتمع صناعي زراعي يأخذ بأليب العلوم التطبيقية ويحقق حلم الكفاية والعدل . اقرأ كمال جنبلاط لاني اراه رجل التجارب الاكثر انفتاحا في هذا الشرق العتيق لمعرفة توصل الى الجمع بين امور متعددة تبدو للوهلة الاولى متناقضة متباعدة . من التقدمية الاشتراكية الى الزعامة التقليدية ... من فلسفة برغسون الى فلسفة غاندي الى فاسفة شاردان فماركس . وكان المعلم مسيطرا على كل ذلك ، جامعا بين أطرافه المتنافرة ماسكا الخيوط المتباينة بيد توحيدية تعيد على الطريقة الفيثاغورية جميع الاعداد الى الواحد ثم تخرجها منه متكاثرة مرة أخرى . في كتابات كمال جنبلاط لحظت احاطة بالجدلية بمفهومها الحقيقي اي كوحدة وصراع اضداد لانه كان يعتقد شأن كثير من الموحدين ان لا شيء قائم بذاته بل الشيء يقوم بضده . كتب المعلم مرة يقول :

" طبعا كل شيء جدلي ... عندما خلق الله العالم اوجد جدلية خاصة به الا ان على هذه الجدلية ان تطمح الى العقل الاعلى الذي هو انسجام الحقيقي الذي لا يفعل البشر شيئا سوى العمل على هدمه وتدميره " . كمال جنبلاط بمسلكه وفكره كان يقول : " اذا اردنا ان نترك مجالاً للامل المجدي عند البشر فعلى الروحانية والسياسة ان تكونا شيئاً واحداً ... " .

أما جوابي الثالث على نفس السؤال لماذا اقرأ كتب كمال جنبلاط ؟

فلأني أرى الرجل من كثرة المجاهدة التي ألزم نفسه بها في تهذيب غرائزه وترويض مشاعره ، قد وصل الى مرتبة الانيان المتعقلن .. الرجل المستنير . والعقل عند جنبلاط يأخذ بالشق الارسطي الذي يبدأ اتصالاً عبر الحواس الظاهرة بالجزئيات المحسوسة المتغيرة مروراً بالحواس الباطنة من حس مشترك ومتخيلة وذاكرة وصولاً الى العقل المنفعل فالفعال الذي ينتزع الاشياء من ثياب المحسوس ليجعلها مجردة من ثياب الحزنيات ليجعلها كلية والمتغيرات ليجعلها أزلية . والشق الآخر ألا وهو العقل العرفاني الذي ينبع من الداخل المخزن في أعماق النفس كظلال تجارب لاجيال سابقة ... هنا لا بد من عملية الصقل والمجاهدة والتعريج من منزلة الى منزلة ومن مقام الى مقام لتذوق أحوال صوفية لم يتذوقها الا الراسخون في علم الباطن الذي يقوم على المكاشفات والفتوحات .

جنبلاط الأخذ اذن بشقي العقل الارسطي والصوفي والبالغ مرتبة الانسان المستنير استطاع ان يكون مرآة للاخرين تتكشف على صفحاتها خبايا مشاعرهم وغوامض أفكارهم .

أحس وأنا أقف امام المرآة الكمالية أنها تحلطني وتفندني وتعريني بصدق وأمانة تسبر أغوارني ثم تمحضني بذلك الفرح والرضى بمقدار ما أكون انساناً عارفاً أتفياً ظلال أغصان سدرية منتهى المعرفة المنطقية حيناً والعرفانية أحياناً .

جنبلاط الذي أرى فيه :

صرخة الحق في وجه الشر

دعوة الوداعة والمحبة في ليل الضغينة

نور التوحيد في دياجير ظلمة الكثرة

مؤذن التطهير في عالم التلوث

جنبلاط الذي اكتشف في ظل الصمت الساكن الذي لا يعكره سوى حفيف أشجار قصر المختارة وزقزقة العصافير المتناغمة ، ان البشر الى فناء والانسان انا من الفخار ينكسر عند أول صدمة . وأن لا شيء ثابت الا الاله العقل الذي يتأنسن ليحارب تنين الالم ويفتدي بدمه البشر من عذاباتهم او الانسان الذي يتأ له عندما يتذوق حلاوة النرفانا السلام الدائم فوق صراع اضداد اللذة والالم ، الحق والباطل ، الخير والشر .

وبعد ،

هذا قطر من بحر ولكن قطرة من مياه البحر المحيط تحتوي على كل خصائص مياه هذا البحر .

كمال سري الدين